آفاق الحضارة الاسلامية، أكاديمية العلوم الانسانية و الدراسات الثقافية
السنة الخامسة عشرة، العدد الثاني، الخريف و الشتاء ١٤٣٤ هـ.ق، صص ٩٣-١١٣

دلالة الأصوات في *القرآن*

(سورة النجم و القمر نموذجاً)

عيسى متقي‌زاده*

كاوه خضري**

الملخص

لقد تبارى العلماء و المفكرون في الكشف عن أوجه الإعجاز القرآني، فمنهم من توجه إلى لغته و أسلوبه و طريقة صياغته، و منهم من توجه إلى ما تلألأ فيه من لمحات المعارف و إشارات العلوم المختلفة التي تمّ التوصل إليها ألخ. يلتفت هذا البحث إلى وجه من وجوه الإعجاز القرآني و هو الإعجاز الصوتي، فلقد نزل *القرآن الكريم* نزولاً صوتيّاً، و لم ينزل مدوناً في سطور أو مكتوباً في كتاب، كما تمّ تبليغه أيضاً تبليغاً صوتيّاً من لدن جبريل. يعتبر الإعجاز اللغوي أو الصوتي من أجمل مظاهر الإعجاز في *القرآن الكريم*. تشتمل الأجزاء الأخيرة من *القرآن* على أصول العقيدة الإسلامية مثل الإيمان بدعوة الرسول(ص) و اليوم الآخر. تمثّل الأصوات اللّغويّة في الأبنية القرآنيّة معادلاً موضوعيّاً للمعاني المطروحة فيها، يراعي تفاوت الحالات الإنسانيّة، و يناسب مستويات المتلقين. هناك اهميّة بالغة للخصائص الصوتية و اللفظية لسور تلك الأجزاء لتأدية المعاني التي تكمن في تناسب الأصوات و دلالاتها. فقد ترعرع هذا البحث المستفيض من خلال المنهج الوصفي ـ التحليلي في خصائص الصوت القرآني في سورتي النجم و القمر و يبيّن خصائص الأصوات القرآنية و دلالاتها في هاتين السورتين. و النتائج تدلّ على تناسب تامّ بين عدد تواتر الأصوات في هاتين السورتين مع دلالاتها، و إيصال المعنى على نحو بديع و عجيب. و هذا هو ما يُسمّى بالإعجاز الصوتي في *القرآن الكريم*.

الكلمات الرئيسة: الأصوات، الدلالة، سورة النجم، سورة القمر.

---

* أستاذ مساعد في اللغة العربية و آدابها بجامعة تربيت مدرس Emottagi@yahoo.com

** طالب ماجستير في اللغة العربية و آدابها بجامعة تربيت مدرس

تاريخ الوصول: ١٣٩١/٦/٢١، تاريخ القبول: ١٣٩١/٨/٢

Archive of SID

www.SID.ir

١. المقدمة

القرآن الکریم هو کلام الله عزّ و جلّ، المنزّل علی سیّدنا محمد(ص) لهدایة البشر و تنظیم أمور حیاتهم و تحقیق سعادتهم الدنیویة و الأخرویّة، المعجز بأقصر آیة منه (فیاض، ١٩٩٩: ١١). فکل شیء عنده بقدر و مقدار، و وصف الله *القرآن* بقوله عزّ و جلّ: «کِتَابٌ أُحْکِمَتْ آیَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَکِیمٍ خَبِیرٍ» (هود: ١). اعجاز *القرآن الکریم* موضوع هامّ لفت أنظار الباحثین منذ عهد بعید حیث إذا ما تصفّحنا ما کتب عن هذا الموضوع وجدنا أنّهم لم یدّخروا جهداً لتبیان حقائقه السامیة. تشکّل نصیّة *القرآن* الإعجازیة حضوراً دلالیّاً فی الوعی الفلسفی و الدینی و النقدی و بمقتضی ذلک أصبح محوراً لأهداف التفکیر و التألیف فی الأمة و ینبوعاً للکثیر من جداول ثقافتها (مزاری، ٢٠٠١: ٨). و من هنا نشطت الجهود لتتبع الظواهر اللغویة فی *القرآن الکریم*، للکشف عن أسرار هذا الکتاب المعجز، فی نظمه و لفظه و صوته، المعجز فی معانیه، المعجز فی أثره (محمد داود، forum.stop55.com).

إنّ الصّوت المفرد هو الوحدة الأوّلیّة الّتی تتشکّل منها الألفاظ القرآنیّة، و لما کان کذلک، کان له الدّور الأکبر فی بلورة دلالتها، الأمر الّذی دعا بعض الباحثین إلی القول بالقیمة التعبیریّة للحرف الواحد أو الصّوت الواحد، و البحث عن العلاقة بین اللّفظ و المعنی أو الصّوت و الدّلالة، فی الواقع یأخذ *القرآن الکریم* من الأصوات ما کان مناسباً للمقام، دالّا علی المعنی. لا وعورة فیه إلاّ ما جاء منه لغرض بلاغیّ فیطابق اللّفظ مقتضی الحال دون أن ینقص من إعجازه شیء (بحری، ٢٠١٠: ٦).

لا تحصی صور الإعجاز اللغوی أو اللفظی فی *القرآن* و منها الإعجاز الصوتی فی *القرآن* الذی یتمثّل فی الآیات القصیرة خاصّة فی الأجزاء الأخیرة من *القرآن*. فهذه میزة کبیرة للقرآن و لا شکّ فیه أنّ هذه السور تحتوی علی ما یستحسنه السمع. لا یمکن الوصول إلی سرّ هذا الجمال الّا إذا تعرّفنا علی المحاسن اللفظیة و البدیعیة کالأصوات و نهایة فواصل الآیات. قام الباحثان فی هذه المقالة بعدّ الأصوات فی سورتی النجم و القمر لإلقاء الضوء علی جزء صغیر من هذا البحر العظیم. اخترناهما لقرابتهما من ناحیة الموضوع و وقعهما فی جزء واحد و لکثرة ما رأینا فیهما من دلالة الأصوات علی موضوعهما. هناک تراث ضخم من الدراسات القرآنیة بمختلف مجالاتها و فی مجال الدلالة و الأصوات هناک دراسات کثیرة حول *القرآن* و إعجازه، بعضها درست الإعجاز اللفظی و الصوتی فی القرآن من اهمّها:

١. مقالة عنوانها «دلالة الأصوات فی فواصل آیات جزء عمّ ـ دراسة تحلیلیة» کتبها محمد رمضان البع یتناول هذا البحث الجزء الأخیر من *القرآن الکریم* و معظم سوره مکیة. حاول الباحث

www.SID.ir

فی بحثه أن یدرّس من خلال عمل جداول إحصائیة أصوات فواصل الآیات ثمّ یبیّن علاقتها بدلالة الآیة و معانی جزء عمّ بجمیع سوره.

۲. کتاب عنوانه *الصوت اللغوی فی القرآن* ألّفه محمد الصّغیر، فقد ترعرع هذا البحث المستفیض فی خصائص الصوت القرآنی و ملامحه و میزاته.

۲. منهج البحث

حاولنا خلال المنهج الوصفی و التحلیلی أن ندرس الأصوات فی سورتی النجم و القیامة من خلال عمل جداول إحصائیة، بحیث قمنا بعدّ الحروف کلّها فی هاتین السورتین ثمّ درسنا الموضوع من خلال تلک الجداول.

۳. أدب البحث النظری

۱.۳ الدلالة لغةً و اصطلاحاً

للفعل (دلَّ) الثلاثی صور صرفیة متعددة بفتح حرف (الدال). دلَّه علی الطریق یَدُلُّه بالضم (دِلالة و دَلالة) و (دُلولة) بالضم و الفتح أعلی (فیروز آبادی، ۱۹۸۳: ۳/ ۳۷۷؛ رازی، ۱۹۸۳: ۲۰۹) الدلالة مصدر لفعل «دلَّ یدلُّ» و مصدره «دلالةً و دلولةٌ» و دلیلیَّ إلی الشیء و علیه: أرشده و هداه (معلوف، ۱۳۸٦: ۲۲۰). و دلَّلَت بهذا الطریق عرفته، و دَلَلتُ به أدُلُّ دلالةً و قال ابن درید الدّلالة، بالفتح حرفة الدَّلّال و هو الذی یجمع بین البیعین (ابن منظور، ۱۹۸۸: ۱۱/ ۲٤۸). الحدیث عن المصطلح الدلالة یدعو إلی تحدید المفهوم اللغوی الأول لهذا المصطلح لأنّ الوضع اللغوی تصالح علیه أهل اللغة قدیماً و یلقی بظلاله الدلالیة علی المعنی العلمی المجرد فی الدرس اللسانی الحدیث و قد وقع اختلاف بین علماء اللغة المحدثین فی تعیین المصطلح العربی الذی یقابل مصطلح «سیمانتیک» بالأجنبیّة الذی أطلقه العالم اللغوی «بریل» (عبدالجلیل، ۲۰۰۱: ۱۸). علم الدلالة هو اصطلاح حدیث لکلمة «semantique» الإنجلیزیة و أصل الکلمة الفرنسیة هو اصطلاح وضعه بریال سنة ۱۸۹۷ و ورد فی کتابه مقالات فی علم الدلالة و الکلمة تعود إلی الکلمة الیونانیة «sema» التی تعنی «العلامة». و مما یجدر ذکره هنا أنّ کلمة «sema» المؤلفة من الحرفین الأصلیین s m قریبة الشبه من الجذر العربی المؤلف من الأصلیین «س، م» اللذین یرافقهما حرف لین، فهناک: (سمة) بمعنی العلامة و هی مشتقة من الأصل (وسم) (عمران، ۲۰۰۷: ۹؛ دایة، ۱۹۹٦:٦). فیقصد بالدلالة الکیفیة التی یتمّ فیها استعمال

www.SID.ir

المفردات ضمن سیاق لغوی معین، و بیان علاقاتها بالعملیة الذهنیة لأنّ الألفاظ لا تدلّ علی الأمور الخارجیة بل علی الأمور الذهنیة (زوین، ١٩٨٦: ٨٨). و یعرفه بعضهم بأنّه «دراسة المعنی» أو «ذلک الفرع من علم اللغة الذی یتناول نظریة المعنی» (مختار عمر، ١٩٩٨: ١١). للدلالة أنواع مختلفة من أهمّه هی: الدلالة الصوتیة، الدلالة الصرفیة، الدلالة السیاقیة و الدلالة النحویة. لکن بما أنّ بحثنا یدور حول دلالة الأصوات فی *القرآن* فنختصر همّنا فی تفصیل الدلالة الصوتیة و نترک الحدیث عن سائر الدلالات.

٢.٣ الدلالة الصوتیة

الواقع أنّ دلالة الصوت و قیمته التعبیریة فی المادة اللغویة من القضایا التی شغلت اللغویین القدامی کابن جنّی و المحدثین کصبحی صالح. و لعلّ ابن جنیّ من اکثر علماء اللغة تحمّساً للقضیة الذی لا یشقّ غباره و یستهلّ باب هذه المناسبة الطبیعیة بین اللفظ و مدلوله بقوله: «أعلم أنّ هذا موضع شریف لطیف، و قد نبّه علیه الخلیل و سیبویه، و تلقته جماعة بالقبول له و الاعتراف بصحته» (بحری، ٢٠١٠: ٣٨). فالعربیة تشتمل علی کثیر من الألفاظ الموحیة بالمعنی و توجه نحوه بجرس حروفها و موسیقاها و لا شکّ فیه أنّ للحرف الواحد فی ترکیب الکلمة العربیة قیمة تعبیریة، و أنّ الکلمة الثلاثیة تعبّر عن معنی هو متلقی حروفها الثلاثة. و نتیجة تمازجها و تداخلها کأن تقول مثلاً (غ ر ق) یحصل معناها من تلاقی معانی حروفها فالغین تدلّ علی غیبة الجسم فی الماء و الراء تدلّ علی التکرار و الإستمرار فی سقوطه و القاف تدلّ علی اصطدام الجسم فی قعر الماء. و المعنی الإجمالی الحاصل من اجتماع المعانی الجزئیة للحروف هو مفهوم مادة (غرق) (المبارک، ١٩٨١: ١٠٥). إذن «الدلالة الصوتیة هی الدلالة التی تألفت منها الکلمة و تختلف دلالة الکلمات بحسب طبیعة هذه» (مطر، ١٩٩٨: ٤٧).

٣.٣ الصوت لغةً و اصطلاحاً

الصوت لغةً: «الجرس و جمعه الأصوات.الصوت صوت الإنسان و غیره و الصائت: الصائح و رجل صیّت: أی شدید الصوت» (ابن منظور، ١٩٨٨: ٦٨). «صات: صَوْتاً أی أحدث صوتاً و الصوتُ جمعه أصوات و الصَیِّت: الشدید الصوت. یقال: «رجل صاتٌ و صوتُ صیِّتٌ» أی شدید الصوت» (معلوف، ١٣٨٦: ٤٣٩). و یقول راغب الإصفهانی فی کتابه مفردات الفاظ *القرآن* حول مادّة صوت: «هو الهواء المنضغط عن قرع جسمین و ذلک ضربان: صوت مجرد عن تنفس بشیء کالصوت الممتد و تنفس بصوت ما. و المتنفِّس ضربان: غیر اختیاری کما یکون من

www.SID.ir

الحیوانات و من الجمادات و اختیاری کما یکون من الإنسان. و ذلک ضربان: ضرب بالید کصوت العود و ما یجری مجراه و ضرب بالفم و الذی بالفم ضربان: نطق و غیر نطق و النطق منه إمّا مفرد من الکلام و إمّا مرکب کأحد الأنواع من الکلام» (راغب اصفهانی، ۱٤۱۲: ۳۳۵). أمّا اللغویّون یقولون: «إنّ الحرف لا شکّ أنّه صوت. و الصوت إنّما یحدث عن تموج الهواء دَفعةً و بعنفٍ یتأدّی إلی الهواء المنحصر فی صماخ السامع فیتشکّلُ هو (أی هذا الهواء المنحصر) بشکله، فتحسُّ به العَصَبة الدقیقة المفروشة هناک و ذلک بقوتین: إحداهما هی التی تَفیضُ علی الهواء، بها تتم هذه التأدیة» (حسن جبل، ۲۰۰٦: ۲٤) و «الصوت ظاهرة طبیعیة ندرک أثرها قبل أن ندرک کنهها. فقد أثبت علماء الصوت بتجارب لا یتطرّق إلیها الشّک أنّ کلّ صوت مسموع یستلزم وجود جسم یهتزّ» (أنیس، ۱۹۸٤: ۵).

٤.۳ علاقة الصوت و الدلالة

اللغة العربیة تشتمل علی کمّ کبیر من الکلمات التی توحی بالمعنی و توجّه إلیه انطلاقاً من الصوت الذی له جرس موسیقی یوحی بدلالة خاصة و علیه لا شکّ أنّ فی اللغة العربیة خصیصة تبهر الناظرین و تلفت نظر الباحثین و هی تقابل الأصوات و المعانی فی ترکیب الألفاظ و أثر الحروف فی تقویة المعنی و الإنسجام بین أصوات الحروف التی تترکب منها الألفاظ و دلالتها (المبارک، ۱۹۸۱: ۱۰۵).

الواقع أنّ دلالة الصوت و قیمته الإیحائیة فی المادة اللغویة من القضایا التی شغلت اللغویین المؤیدین لفکرة المناسبة بین الصوت و المعنی و قد صرّح السیوطی فی کتابه المزهر فی اللغة: «بأنّ لفیفاً من علماء العربیة و أهلها کادوا یطبقون جمیعاً علی إثبات المناسبة بین اللفظ و المعنی أو الصوت و المعنی» (السیوطی، ۱۹۸٦: ۲/ ٤۸-٤۹). و قد اتّخذ عباس حسن من أصوات الحروف وسیلة للتعبیر عن الحاجة المادیة و المعنویة، فکانت هذه الحاجة مرتبطة بالعالم الخارجی متخذاً فی ذلک الحواس و المشاعر الإنسانیة (بحری، ۲۰۱۰: ٤٤). کما أنّ سید قطب قد أشار إلی تلک العلاقة بین الصوت و إیحاءاته معتبراً: «أنّ لکلّ صفة من صفات الحروف صوت، و أصوات الحروف المختلفة تنزل منزلة النبرات الموسیقیة و تحدث جمالاً توقیعیاً فی نفس القارىء أو السامع کما تحدث انفعالاً نفسیاً ینتج عنه تنویع الصوت» (الخالدی، بلاتا: ۱۸). إذن الحرف حجر الزاویة و الرکن الرکین فی الوحدة اللغویة، فإنّه یترک علی اطراف الکلمة ظلالاً خفیفة تساعد الذهن علی تصوّر الأشیاء بما فیها من أشکال و ألوان و أبعاد، و العلاقة بین الصوت و الدلالة فی النظام القرآنی هی علاقة إعجازیة، دلالیة، مقصودة و لیست اعتباطیة.

www.SID.ir

٥.٣ أقسام الأصوات

قسمت الأصوات اللغوية عموماً إلى قسمين هما: «الصوامت (consonants) و الصوائت أو أصوات العلة (vowels) و أساس هذا التقسيم يرجع إلى الطبيعة الصوتية لهاتين الزمرتين الصوتيتين. فی هذا المقام نركز الإهتمام على صفات الأصوات التی نالت الحظ الأوفر من إهتمام اللغويين العرب حيث قسمت الصوامت إلى قسمين كبيرين هما:

١. الصفات العامة: تشمل الجهر و الهمس، الشدة و الرخاوة، و التوسط بين الشدة و الرخاوة.

٢. الصفات الخاصة: تشمل الإطباق و القلقلة و الصفير و الغنة و الإنحراف و التفشی ألخ» (السعران، ١٩٦٤: ١٦٠).

إلّا أنّنا فی بحثنا نركّز على القسم الأول من الصفات الأصوات و هو الصفات العامة.

١.٥.٣ الأصوات المجهورة و المهموسة

قسم علماء اللغة الأصوات إلى المجهورة (les sonores) و المهموسة (les soudres) بحسب وضع الوترين الصوتيين. ففی حالة النطق بالمصوت المجهور تنقبض فتحة الزمار و يقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر فتضيق هذه الفتحة، و لكنها تسمح بمرور النَفَس الذی يندفع فيها، فيهتزّ الوتران الصوتيان (طحان، ١٩٧٢: ٥٠–٥١). و عكس الجهر فی الإصطلاح الصوتی هو الهمس. فالصوت المهموس هو الذی لا يهتزُّ معه الوتران الصوتيان. و عدد الأصوات المجهورة عند علماء العربية كما تبرهن عليها التجارب الحديثة هی ثلاثة عشر: «ب/ج/د/ز/ر/ذ/ض/ظ/ع/غ//ل/م/ن» و يضاف إليها أصوات اللين و هی: «الف/و/ی» بالإضافة إلى الحركات الثلاث: الفتحة و الضمة و الكسرة. فی حين أنّ الأصوات المهموسة هی اثنا عشر: «ت/ث/ح/خ/س/ش/ص/ط/ف/ق/ک/ه» (أنيس، ١٩٨٤: ٢٢؛ بحری، ٢٠١٠: ٥١).

٢.٥.٣ الأصوات الشديدة و الرخوة

حين تلتقی الشفتان التقاءاً محكماً فينحبس عندهما مجری النفس المندفع من الرئتين لحظة من الزمن بعدها تنفصل الشفتان انفصالاً فجائياً، يحدث النفس المنحبس صوتاً انفجارياً، هو ما نرمز إليه فی الكتابة بحرف الباء، فهذا النوع من الأصوات الإنفجارية هو ما اصطلح القدماء على تسميته بالصوت الشديد و ما يسميه المحدثون انفجارياً «plosive». و ليس ضرورياً أن يكون انحباس النفس بالتقاء الشفتين، كأن يلتقی طرف اللسان بأصول الثنايا التقاء محكماً فلا يسمح بمرور الهواء المحبوس فجأة، و يحدث صوتاً انفجارياً هو الذی نرمز اليه بالدال أو التاء. و كذلک

www.SID.ir

قد ینحبس الهواء بالتقاء أقصی اللسان بأقصی الحنک الأعلی ثمّ ینفصلان فجأة فیحدث الهواء المندفع صوتاً انفجاریاً نرمز إلیه بالکاف أو الجیم القاهریة. الأصوات العربیة الشدیدة کما تؤیدها التجارب الحدیثة هی:«ب/ت/د/ط/ض/ک/ق/الجیم القاهریة» (أنیس، ۱۹۸٤: ۲٤ – ۲۵).

أما الأصوات الرخوة فعند النطق بها لا ینحبس الهواء انحباساً محکماً، و إنما یکتفی بأن یکون مجراه ضیقاً. و یترتب علی ضیق المجری أن النفس فی أثناء مروره بمخرج الصوت یحدث نوعاً من الصفیر أو الحفیف تختلف نسبته تبعاً لنسبة ضیق المجری. و هذه الأصوات یسمیها المحدثون بالأصوات الإحتکاکیة (fricatives) و علی قدر نسبة الصفیر فی الصوت تکون رخاوته. و الأصوات الرخوة فی اللغة العربیة کما تبرهن علیها التجارب الحدیثة هی: «س/ز/ص/ش/ذ/ث/ظ/ف/ه/ح/خ/غ» (المصدر نفسه: ۲۵ –۲٦؛ بحری، ۲۰۱۰: ۵۷ –۵۸).

۳.۵.۳ أصوات اللین (المدّ)

کما أشرنا علماء اللغة قسموا الأصوات إلی الصوامت و الصوائت و یمکن تسمیة القسم الأول بالأصوات الساکنة و الثانی بأصوات اللین. فالصفة التی تجمع بین کلّ أصوات اللین هی أنّه عند النطق بها یندفع الهواء من الرئتین مارّاً بالحنجرة، فالصفة التی تختص بها أصوات اللین هی کیفیة مرور الهواء فی الحلق و الفم و خلوّ مجراه من حوائل و موانع. و أصوات اللین فی اللغة العربیة هی ما اصطلح القدماء علی تسمیته بالحرکات من فتحة و کسرة و ضمة و کذلک ما سمّوه بالألف اللینة و الیاء اللینة و الواو اللینة، و ما عدا هذا فأصوات ساکنة (محمد قدور، ۱۹۹۹: ۱۹۱؛ أنیس، ۱۹۸٤: ۲۷ – ۲۹).

٤. تحلیل مواد البحث و نتائجها

۱.٤ تواتر الأصوات المجهورة و المهموسة فی السورتین و دلالتها

قبل أن نبدأ بإحصاء الأصوات فی السورتین یجب أن نتعرّف علی ما تنظم السورتین من ناحیة الموضوعات العامة حتّی نسطتیع أن نحلّلَ و نستنتج استنتاجاً دقیقاً.

۱.۱.٤ سورة النجم

إنها من السور المکیة فی الجزء السابع و العشرین و یبلغ عدد آیاتها إلی إثنین و ستین آیة و هی تبحث عن موضوع الرسالة فی إطارها العام و عن موضوع الإیمان بالبعث و النشور شأن سائر السور المکیة. ابتدأت السورة الکریمة بالحدیث عن موضوع المعراج ثمّ تلاها الحدیث عن

www.SID.ir

الأوثان و الأصنام ثمّ تحدّثت عن الجزاء العادل یوم الدّین و قد ذکرت برهاناً علی الجزاء العادل بأن کلّ انسان لیس له الّا عمله و سعیه. و ختمت السورة الکریمة بما حلّ بالأمم الطاغیة کقوم عاد، و ثمود، و قوم نوح و لوط، من أنواع العذاب و الدمار تذکیراً لکفار مکة بالعذاب الذی ینتظرهم بتکذیبهم لرسول الله (ص) و زجراً لأهل البغی و الطغیان عن الإستمرار فی التمرد و العصیان (الصابونی، ١٣٩٩: ٣/ ٢٧١). «هذه السورة فی عمومها کأنها منظومة موسیقیة علویة، منغمة، یسری التنغیم فی بنائها اللفظی کما یسری فی إیقاع فواصلها الموزونة المقفاة. و یلحظ هذا التنغیم فی السورة بصفة عامة و یبدو القصد فیه واضحاً فی بعض المواضع و قد زیدت لفظة أو اختیرت قافیة، لتضمن سلامة التنغیم و دقة إیقاعه ـ إلی جانب المعنی المقصود الذی تؤدیه فی السیاق کما هی عادة التعبیر القرآنی مثل ذلک قوله: «أفرأیتم اللات و العزی ومناة الثالثة الأخری». فلو قال و مناة الأخری ینکسر الوزن. و لو قال: «و مناة الثالثة فقط یتعطّل إیقاع القافیة و لکل کلمة قیمتها فی معنی العبارة. و لکن مراعاة الوزن و القافیة کذلک ملحوظة» (قطب، ١٩٨٠: ٦/ ٣٤٠٥).

٢.١.٤ سورة القمر

إنّها من السور المکیة فی الجزء السابع و العشرین و یبلغ عدد آیاتها إلی أربع و خمسین آیة، و قد عالجت أصول العقیدة الإسلامیة و هی من بدئها إلی ختمها حملة عنیفة مفزعة علی المکذبین بآیات *القرآن*، و طابع السورة الخاص، هو الطابع التهدید و الوعید، و الإنذار و الإنذار، مع صور شتّی من مشاهد العذاب و الدمار. إبتدأت السورة الکریمة بذکر تلک «المعجزة الکونیة» معجزة انشقاق القمر ثمّ انتقلت للحدیث عن أهوال القیامة و شدائدها بأسلوب مخیف یهزّ المشاعر. بعد الحدیث عن کفّار المکة یأتی الحدیث عن مصارع المکذبین و ما نالهم فی الدنیا. ثمّ تلاه الحدیث عن الطغاة المتجبرین من الأمم السالفة و بعد عرض هذه المشاهد الألیمة توجّهت السورة إلی مخاطبة قریش و حذرتهم مصرعاً کهذه المصارع بل ما هو أشد و أنکی «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ [٤٦]، بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ [٤٧]» (الصابونی، ١٣٩٩، ٣/ ٢٨٢). و لکن هذه الموضوعات ذاتها تعرض فی هذه السورة عرضاً خاصاً و أخص ما یمیّزها فی سیاق السورة أنّ کلّاً منها یمثل حلقة عذاب رهیبة سریعة لاهثة مکروبة. یشهدها المکذبون، کأنما یشهدون أنفسهم فیها، و یحسون إیقاعات سیاطها. فإذا انتهت الحلقة و بدأوا یستردون أنفاسهم اللاهثة المکروبة عاجلتهم حلقة جدیدة أشد هولاً و رعباً. و هکذا حتّی تنتهی الحلقات السبعة فی هذا الجو المفزع الخانق. فیطلّ المشهد الأخیر فی السورة. و إذا هو جو آخر، ذو ظلال أخری. و إذا

www.SID.ir

هو الأمن و الطمأنينة و السكينة. إنه مشهد المتقين: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِی جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ [٥٥]، فِی مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ [٥٦]» (قطب، ١٩٨٠: ٦/ ٣٤٢٥). قبل الإتيان بالجداول الإحصائية يحسن الإشارة إلى أنّ الأصوات المجهورة عند علماء العربية تكون: «ب/ج/د/ز/ر/ذ/ض/ظ/ع/غ//ل/م/ن»، فی حين أنّ الأصوات المهموسة تكون أثنا عشر: «ت/ث/ح/خ/س/ش/ص/ط/ف/ق/ک/ه».

جدول تواتر الأصوات المجهورة و المهموسة فی سورة النجم: هذا الجدول صورة واضحة للكشف عن عدد تواتر الأصوات المجهورة و المهموسة مع بيان نسبتهما المئوية فی سورة النجم

	عدد التواتر	النسبة المئوية
الأصوات المجهورة	٦٠٦	٦٧/٥٥
الأصوات المهموسة	٢٧٨	٣٢/٤٥
المجموع	٨٨٤	٪١٠٠

جدول تواتر الأصوات المجهورة و المهموسة فی سورة القمر: و فی هذا الجدول أيضاً نشاهد عدد تواتر الأصوات المجهورة و المهموسة مع بيان نسبتهما المئوية المتعلقة فی صورة القمر.

	عدد التواتر	النسبة المئوية
الأصوات المجهورة	٧٠٧	٦٧/٤٠
الأصوات المهموسة	٣٤٢	٣٢/٦٠
المجموع	١٠٤٩	٪١٠٠

جدول تواتر الأصوات المجهورة و المهموسة فی السورتين: هذا الجدول أجمع بين عدد تواتر الأصوات المجهورة و المهموسة مع بيان النسبة المئويّة الكلية التی تتعلّق بتكرار تلک الأصوات فی السورتين.

	عدد التواتر	النسبة المئوية
الأصوات المجهورة	١٣١٣	٦٧/٩٢
الأصوات المهموسة	٦٢٠	٣٢/٠٨
المجموع	١٩٣٣	٪١٠٠

من اهمّ النتائج التی تعطينا تلک الجداول الثلاثة فی مجال الأصوات المجهورة و المهموسة، هی أنّ التكرار الأكبر فی كلتا السورتين كان للأصوات المجهورة (٦٧/٩٢). و هذا من الطبيعی أن تكون عددها أكثر من الأصوات المهموسة لأن هذه الأصوات تناسب مع دلالات السور المكية

Archive of SID
www.SID.ir

التی نراها ایضاً فی هاتین السورتین حیث یدور الکلام فیهما حول الإیمان بالبعث و الوحی و الوحدانیة و الآخرة و النشور و الإعذار و الإنذار، مع صور شتّی من مشاهد العذاب و الدمار (الصابونی، ١٣٩٩: ٣/ ٢٧١ – ٢٨٢). «و الصور و الظلال فی المقطع الأول فی سورة النجم تشع من المجال العلوی الذی تقع فیه الأحداث النورانیة و المشاهد الربانیة التی یصفها هذا المقطع. و من الحرکات الطلیقة للروح الأمین و هو یتراءی للرسول الکریم. و الصور و الظلال و الحرکات و المشاهد و الجوّ الروحی المصاحب تستمد و تمد ذلک الإیقاع التعبیری و تمتزج به و تتناسق معه و تتراءی فیه فی توافق منغم عجیب. ثمّ یعم ذلک العبق جو السورة کلّه و یترک آثاره فی مقاطعها التالیة حتی تختم بإیقاع موح شدید الإیحاء مؤثر عمیق التأثیر. ترتعش له کل ذرة فی الکیان البشری و ترف معه و تستجیب» (قطب، ١٩٨٠: ٦/ ٣٤٣٠). و هذا الإیقاع الشدید الموثر لا یحصل إلّا من خلال الأصوات المجهورة و السریعة التی تناسب مع دلالات الألفاظ و الأصوات فی السورتین. أنظروا إلی کیفیة التناسب و التناسق بین الأصوات المجهورة و دلالاتها فی المقطع الثانی من سورة النجم حین یتحدث عن آلهتهم المدعاة: اللّات والعزی و مناة. و أوهامهم عن الملائکة و أساطیرهم حول بنوتها لله. و اعتمادهم فی هذا کله علی الظن الذی لا یغنی من الحق شیئاً. بینما الرسول(ص) یدعوهم إلی ما دعاهم إلیه عن تثبت و رؤیة ویقین. «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى [١٩]، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى [٢٠]، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَ لَهُ الْأُنْثَى [٢١]، تِلْکَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى [٢٢]». عدد تواتر الأصوات المجهورة فی تلک الآیات یبلغ إلی أکثر من ٢٥ صوتاً و هذا افضل حجة علی إثبات المدّعا و هو التناسب بین الأصوات المجهورة مع دلالاتها فی السور المکیة.

ثمّ نتوقف عند هذا المشهد فی سورة القمر و التی محتویاتها واردة فی سور مکیة شتّی. «فهی مشهد من مشاهد القیامة فی المطلع، و مشهد من هذه المشاهد فی الختام. و بینهما عرض سریع لمصارع قوم نوح، و عاد و ثمود. و قوم لوط، و فرعون. و کلّها موضوعات تزخر بها السور المکیة فی صور شتّی. و لکن هذه الموضوعات ذاتها تعرض فی هذه السورة عرضاً خاصاً، یحیلها جدیدة کل الجدة. فهی تعرض عنیفة عاصفة، و حاسمة قاصمة، یفیض منها الهول، و یتناثر حولها الرعب، و یظللها الدمار و الفزع و الانبهار» (قطب، ١٩٨٠: ٦/ ٣٤٢٨). و هذا عرض آخر من سورة القمر حول دلالة الأصوات المجهورة علی المعانی: «حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ [٥]، فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ [٦]، خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ [٧]، مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ [٨]، كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ [٩]». نشاهد حرف الراء و هی

www.SID.ir

تکرر فی کل فاصلة من تلک الآیات تکراراً انفجاریاً و هذا التکرار فی هذا الصوت یدلّ علی شدة الجهر بالرأی أمام الغیر حیث یجعل هذا الجهر و التکرار المخاطبَ أن یشعر بقسوة الکلمة التی تعبّر عن شدّة الإنذار.

لکن و إن کانت عدد تواتر الأصوات المهموسة الواردة فی السورتین أقل من الأصوات المجهورة و النسبة المئویة التی تختص بتلک الأصوات هی: (۳۲/۰۷) إلّا أنّها تحمل دلالات معینة فی مواضعها، حیث نری أنّ صوت السین تواتر فی هاتین الآیتین فی سورة النجم: «وَ أَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى [۳۹]، وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى [٤٠]». فلا تحمل نفس حمل أخری، لا تخفیفاً عن نفس و لا تثقیلاً علی أخری. فلا تملک نفس أن تنقص من حملها و وزرها. و لا تملک نفس أن تتطوع فتحمل عن نفس شیئاً. عندما یری الإنسان بأنه مسؤول عن حیاته و احد لا یستطیع أن یخفّف عمّا حمّلت علیه فلابدّ أن یخضع لشریعة الخالق، إذن نری لا یستفاد فی هذا السیاق من المجهورة فی الخطاب إلیهم.

و من الأصوات المهموسة التی کان أکثر تواتراً فی هاتین السورتین هی صوت الهاء التی تواتر ۱۱۳ مرّة فی السورتین. نشاهد کمال التناسب بین الأصوات المهموسة و دلالاتها فی حروف الهاء و السین معاً فی هاتین الآیتین من سورة القمر: «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ [٤٦]، بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السَّاعَةُ أَدْهَى وَ أَمَرُّ [٤٧]» و هذا خضوع تامّ أمام جلاله و عظیم سلطانه و لا یحتاج لأداء المعنی إلی الأصوات المجهورة.

۲.٤ تواتر الأصوات الشدیدة و الرخوة فی السورتین و دلالاتها

الأصوات العربیة الشدیدة کما تقدّمت ذکرها هی:«ب/ت/د/ط/ض/ک/ق/الجیم القاهریة». و الأصوات الرخوة فی اللغة العربیة کما تبرهن علیها التجارب الحدیثة هی: «س/ز/ص/ش/ذ/ث/ظ/ف/ه/ح/خ/غ».

جدول تواتر الأصوات الشدیدة و الرخوة فی سورة النجم: هذا الجدول یوضّح لنا عدد تواتر الأصوات الشدیدة و الرخوة مع بیان نسبتهما المئویّة فی سورة النجم

	عدد التواتر	النسبة المئویة
الأصوات الشدیدة	۱۷۸	٤۲/۷۸
الأصوات الرخوة	۲۳۸	۵۷/۲۱
المجموع	٤۱٦	٪۱۰۰

Archive of SID
www.SID.ir

جدول تواتر الأصوات الشديدة و الرخوة فی سورة القمر: هذا الجدول يوضّح لنا عدد تواتر الأصوات الشديدة و الرخوة مع بيان نسبتهما المئويّة فی سورة القمر

	عدد التواتر	النسبة المئوية
الأصوات الشديدة	٢٦١	٥٠/٨٧
الأصوات الرخوة	٢٥٢	٤٩/١٢
المجموع	٥١٣	٪١٠٠

جدول تواتر الأصوات الشديدة و الرخوة فی السورتين: هذا الجدول جمع بين النتائج الحاصلة من إحصاء الأصوات فی الجدولين السابقين مع بيان النسبة المئوية الكلية لتواتر الأصوات الشديدة و الرخوة فی السورتين

	عدد التواتر	النسبة المئوية
الأصوات الشديدة	٤٣٩	٤٧/٢٥
الأصوات الرخوة	٤٩٠	٥٢/٧٤
المجموع	٩٢٩	٪١٠٠

فمن خلال الجدول نلاحظ أنّ عدد تواتر الأصوات الشديدة كان قريباً من عدد تواتر الأصوات الرخوة و إن كان أقلّ تواتراً من الأصوات الرخوة فی المجموع. حيث تكررت صوت الباء ٥٩ مرة فی سورة القمر و ٤٤ مرة فی سورة النجم. و تكررت صوت التاء ٤٠ مرة فی سورة النجم و ٣٦ مرة فی سورة القمر و هذا يدلّنا إلى نوع من التناسب حول تكرار الحروف الشدة فی هاتين السورتين. كما أشرنا المعنى الإصطلاحی لأصوات الشدة هو حبس النفس فی مجری مخرج الحرف و هذا الحبس يكون بالتقاء الشفتين التقاء محكماً (كما فی نطق الباء) فهذا الاعتراض المحكم أو الالتقاء المحكم يحبس النّفس حبساً تامّاً لا يدعه يخرج و هذا يشبه شدّ فم الكيس (أی ربطه) شدّاً تامّاً فلا يخرج منه شیء (حسن جبل، ٢٠٠٦: ٥٨). و هذا يناسب و الدلالات التی تتحدّث عن موضوع الرسالة فی اطارها العام و عن الأوثان و الأصنام التی عبدها المشركون من دون الله. ثمّ استمرّ الكلام فی سورة القمر حيث يتحدّث عن الطغاة المتجبرين من الأمم السالفة مع تصوير أنواع العذاب (الصابونی، ١٣٩٩: ٣/ ٢٧١ – ٢٨٢). أنظروا إلى تواتر الأصوات الرخوة فی هذه الآية من سورة القمر حيث نشاهد تناسقاً تامّاً بين الأصوات و دلالاتها: «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ [١]» هناك تواتر جميل من الأصوات الشديدة (أصوات القاف و التاء و الباء) فی هذه الآية الكريمة التی يناسب مع دلالتها. «مطلع باهر مثير، على حادث كونی كبير و إرهاص بحادث أكبر. لا

www.SID.ir

یقاس إلیه ذلک الحدث الکونی الکبیر، فیا له من إرهاص و یا له من خبر. و لقد رأوا الحدث الأول فلم یبق إلا أن ینتظروا الحدث الأکبر» (قطب، ۱۹۸۰: ٦/ ۳٤۳۸). و فی تلک الآیات نشاهد مشهداً آخراً من جمال التواتر للحرف القاف فی سورة النجم التی زادت السورة جمالاً و هو: «وَ أَنَّهُ أَهْلَکَ عَاداً الْأُولَی [۵۰]، وَ ثَمُودَ فَمَا أَبْقَی [۵۱]، وَ قَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ کَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغَی [۵۲]» فهی التی تخرج بالتقاء عکدة اللسان بأصل اللهاة کما صرح الخلیل و ابن سینا (حسن جبل، ۲۰۰٦: ۹۵).

فمن خلال الجدول ایضاً نلاحظ أنّ أصوات الرخوة کان أکثر تواتراً من الأصوات الشدیدة فی هاتین السورتین حیث اختصّت الأصوات الرخوة ۵۲/۷٤ بالمئة من کلّ الحروف الشدیدة و الرخوة فی السورتین. و من الحروف الرخوة التی کان أکثر تواتراً من سائر الحروف هی حرف الهاء التی تکررت فی سورة النجم ٦۲ مرة و فی سورة القمر ۵۱ مرة و زادت السورتین جمالاً و لها دلالتها الخاصة فی السورتین. أنظروا إلی تواتر الحرف الهاء و تناسبها مع المعنی الذی تنظمها فی هذه الآیة الکریمة من سورة النجم: «إِنْ هِیَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّیْتُمُوهَا أَنتُمْ وَ آبَاؤُکُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن یَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَی الْأَنفُسُ وَ لَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَی [۲۳]» هذه الأسماء: اللّات و العزی و مناة وتسمیتها آلهة وتسمیتها ملائکة. و تسمیة الملائکة إناثاً و تسمیة الإناث بنات الله کلها أسماء لا مدلول لها و لا حقیقة وراءها. و کل مالم یقرره الله فلا قوة فیه و لا سلطان له لأنه لا حقیقة له و للحقیقة ثقل و للحقیقة قوة. «و للحقیقة سلطان فأما الأباطیل فهی خفیفة لا وزن لها. ضعیفة لا قوة لها. و فی منتصف الآیة یترکهم و أوهامهم و أساطیرهم و یترک خطابهم و یلتفت عنهم کأنهم لا وجود لهم و یتحدث عنهم بصیغة الغائب: (إن یتبعون إلا الظن وما تهوی الأنفس). فلا حجة و لا علم و لا یقین. إنما هو الظن یقیمون علیه العقیدة و الهوی یستمدون منه الدلیل. و العقیدة لا مجال فیها للظن و الهوی و لا بد فیها من الیقین القاطع و التجرد من الهوی و الغرض، فانقطع العذر و بطل التعلل» (قطب، ۱۹۸۰: ٦/ ۳٤٤٦). فهنا یدور الکلام حول جهل المشرکین و لا یحتاج الکلام إلی الشدة، إذن نشاهد تواتر حرف الهاء بوضوح تامّ لأداء دلالتها و هی إیتاء الوعی إلی المشرکین و بیان ضعفهم أمام سلطان الخالق.

۳.٤ تواتر الأصوات اللینة (المدّ) فی السورتین و دلالاتها

أصوات اللین فی اللغة العربیة کما تقدّم ذکرها هی ما اصطلح القدماء علی تسمیته بالحرکات من فتحة و کسرة و ضمة و کذلک ما سمّوه بالألف اللینة و الیاء اللینة و الواو اللینة.

www.SID.ir

جدول عدد تواتر الأصوات اللينة فی سورة النجم: فی هذا الجدول قمنا بإحصاء الأصوات اللينة مع النسبة المئوية التی تتعلّق بتواتر تلک الأصوات فی سورة النجم

الأصوات اللينة	عدد التواتر	النسبة المئوية
الألف	٢٦٦	٦١/٨٦
الواو	١١٤	٢٦/٥١
الياء	٥٠	١١/٦٢
المجموع	٤٣٠	٪١٠٠

جدول عدد تواتر الأصوات اللينة فی سورة القمر: جدول يوضّح لنا عدد تواتر الأصوات اللينة مع بيان نسبتها المئوية فی سورة القمر

الأصوات اللينة	عدد التواتر	النسبة المئوية
الألف	٢١١	٥٨/٧٧
الواو	٩٨	٢٧/٢٩
الياء	٥٠	١٣/٩٢
المجموع	٣٥٩	٪١٠٠

جدول عدد تواتر الأصوات اللينة فی السورتين: فی هذا الجدول نشاهد الجمع بين كلّ الأصوات اللينة مع نستها المئوية التی تتعلّق بتوترها فی السورتين.

الأصوات اللينة	عدد التواتر	النسبة المئوية
الألف	٤٧٧	٦٠/٤٥
الواو	٢١٢	٢٦/٨٦
الياء	١٠٠	١٢/٦٧
المجموع	٧٨٩	٪١٠٠

حسب إحصائنا فی هذا الجدول نلاحظ أنّ غالبية التواتر كانت فی صوت الألف (٦٠/٤٥) فی السورتين. ثمّ تلاها صوت الواو و تواترت ٢١٢ مرةً و اختصت ٢٦/٨٦ بالمئة من الحروف اللينة فی هاتين السورتين و حرف الياء هی أقلّ تواتراً من حرف الألف و الواو. من المعروف أن أصوات اللين عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة، ثمّ يتّخذ مجراه فی الحلق و الفم فی ممرّ ليس فيه حوائل تعترضه و هو ما يتناسب مع قوّة المعانی التی تشير إليها السور

Archive of SID
www.SID.ir

المکیة. فلعلّ امتداد النفس عند النطق بالألف و ما یصحبه من امتداد الصوت یتناسب مع اسلوب الدعوة إلی الله و المجادلة لأهل الباطل بالبراهین العقلیة، و ما ینبغی أنْ یکون علیه الداعیة من طول النفس، و امتداد الصوت و هو ینادی المشرکین و یلح علیهم بنفسه و صوته حتّی یقرّبهم له، و یجذب أسماعهم إلیه، و یسمعهم أقواله، و یقنعهم بما یدعو إلیه (البع، ۲۰۰۹: ۲۰). کما نری هذا التناسب بین الأصوات اللین و دلالاتها فی نهایة الفواصل الآیات فی سورة النجم حیث یقول الله تعالی: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى [۱]، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى [۲]، وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى [۳]، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى [٤]، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى [٥]، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى [٦]، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى [٧]» «فهذه فواصل متساویة فی الوزن تقریباً، و لکنّها علی نظام غیر نظام الشعر العربی، کما نجدها ذات إیقاع موسیقی متّحد، ینبعث من تآلف الحروف فی کلماتها و تناسق الکلمات فی جملها» (عبدالتواب، ۱۹۹۵: ۸۲). حیث تواتر حرف المدّ و صوت الألف الممدوة التی لها دلالات مثل تذکیر الله تعالی لمن لا یؤمن برسالة رسوله و إجبارهم علی الإصغاء علی ما یریده، إذن یمکننا أن نقول: الدلالة المنشودة فی تکرار الحرف المد فی تلک الآیات هی إثبات الرسالة و الإیمان بالملائکة و تصدیق نبوة الرسول(ص).

کما نری فی مشهد آخر من سورة النجم حیث یتحدّث الله تعالی عن ضعف الأنسان و قدرته: «وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَى [٤٥]، مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى [٤٦]، وَ أَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى [٤٧]، وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَ أَقْنَى [٤٨]، وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى [٤٩]» الغرض فی تلک الآیات أنّه تعالی هو القادر علی إیجاد الضدین فی محل واحد و فیه تنبیه علی کمال قدرته و هذا من عجیب صنعته و کمال قدرته و هو ربُّ الکوکب المضیء المسمّی بالشّعری. تواتر حرف المدّ ۷ مرّاتٍ لیفکّر المخاطب فی المشهد الذی یتحدّث عن إعادة خلق النّاس للحساب و الجزاء (الصابونی، ۱۳۹۹: ۳/ ۲۷۹). إذن نری أنّ الله تعالی قرّب تلک المفاهیم إلی الأذهان و الأفهام مع إیقاع موسیقی مترنّم و مراعاة الفواصل و رءوس الآیات ممّا له أجمل الوقع علی السمع و الفؤاد. هنا یحسن الإشارة إلی کلام من محمد حسین علی الصغیر حین یتحدّث عن علاقة الصوت و اللفظ فی السور القرآنیة: «و رأیت أن *القرآن الکریم* قد اختار اللفظ المناسب للصوت المناسب فی الموقع المناسب، فجاء کل لفظ بمکانه الصوتی من العبارة القرآنیة أو الجملة أو الآیة، و لاحظت أن استنباط کل هذه المقاسات صوتیاً یوحی باستقلالیة الکلمة المختارة لدلالة أعمق، و إشارة أدق، بحیث یتعذر علی أیة جهة فنیة استبدال ذلک بسواه، إذ لا یؤدی غیره مراده، و ذلک معلم واضح من معالم الإعجاز اللغوی و البیانی فی *القرآن*» (الصّغیر، بلاتا: ۲۰٤). إذن الألفاظ دالة علی الأصوات، و قد توافرت

www.SID.ir

فی *القرآن* طائفة من الألفاظ الدقيقة عند إطلاقها، بكون اللفظ يدل على ذات الصوت، و الصوت يتجلى فيه اللفظ نفسه كما رأينا فی هاتين السورتين، يستفهم من هذا القول بأن الأصوات و دراستها فی *القرآن الكريم* تكون على مسيس الحاجة بالاهتمام.

٥. الإيقاع الصوتی فی *القرآن*

لا شكّ أنّ هناک اهميّة بالغة للإيقاع فی اللغة العربية عموماً و فی لغة *القرآن* خاصةً و لا نغلو القول إنّ الجمال الصوتی، و التناسق الفنی، و الإيقاع الموسيقی، هو أول شیء احسّته الأذن حين نزل *القرآن الكريم* آخذاً الألباب بجمال عباراته و روعة إيقاعاته و نظمه. إذن امتازت لغة *القرآن الكريم* بإيقاعيتها و موسيقاها، فمثلت الصورة التناسق الفنی فيه، و مرآة عاكسة لتصوير معانيه، فإيقاعاته لا تبع من وزن شعری أو تفعيلات كالشعر العربی و إنّما تنبع من مكنونات اللغة نفسها، بائتلاف اصواتها، و تساوق الفاظها و تناسقها و قابليتها التناغمية على أداء المعنی و دلالتها عليه (محمد مهدی، ٢٠١٠: ٤). و لهذا سحر *القرآنُ* العربَ منذ اللحظة الأولی، سواء منهم فی ذلک من شرح الله صدره للإسلام و من جعل على بصره منهم غشاوة. إنّ هذه السمة التی يتمتّع بها النص القرآنی تشير إلى مسألة جوهرية غاية فی الأهميّة ألا و هی مدی مراعاة النص القرآنی للمتلقی و سمعه الذی يكون الأداة الأولى من أدوات فهم النص و استيعابه طاقات النص الدلالية الظاهرة و الباطنة.

الإيقاع الصوتی ينشأ من أصوات الحروف و الحركات فی الكلمة، و من اختيار الكلمات و من تنضيد الجملة من كلمات و ما فيها من حركات و مدّات منسوقة، و من منهج التركيب، و مواقع الكلمات، و من طول الكلمات و الجمل و قصرها، و من مقاطع الجمل و فواصلها كلّ ذلک روافد رئيسية يستجمع منها الإيقاع الصوتی. إن منابع الموسيقی الظاهرة يمكن ردّها إلى ما يأتی: الموسيقی النابعة من تآلف أصوات الحروف فی اللفظة الواحدة و الحروف، كما لا يخفی أنّ الأصوات متفاوتة الجرس يقرع بعضها بعضاً حين تجتمع فی اللفظ فينتج عن تقارعها المتناغم سُلّم موسيقی جميل. الموسيقی النابعة من تآلف الكلمات تنتظم فی الترتيب فقرات و جمل، فالألفاظ المفردة تقرع الألفاظ الفردة المجاورة لها سابقاً و لاحقاً و ينجم عن تقارعها المتناسق موسيقية جميلة. على أنّ هذا التناغم الصوتی بين الألفاظ المفردة و المركبة، لا تتمّ إلّا بتمام التناسق بين أصوات اللفظ و مدلوله من المعنى (شاملی و طالبی قره قشلاقی، ٢٠١١: ٨٣).

إنَ الإيقاع الصوتی ظاهرة فنية بارزة فی التعبير القرآنی، فالإنسان حين يسمع آياته

www.SID.ir

تتلی علیه، یشعر بهذا الإیقاع المتمیّز لأسلوبه، و هو إیقاع یأخذ بمجامع القلوب فیأسرها و یسحرها، و یجعلها تصغی إلی معانی الآیات و مفاهیمها المتعالیة. الأصوات بصفتها إحدی وجوه الإعجاز اللفظی فی القرآن، تودّی دورها فی ذلک الإیقاع، عندما جاءت ضمن سیاق ترکیبی، و تآلفت حروفها مع الحروف مخرجاً و صفةً و حرکةً (التحریشی، ۲۰۰۰: ۲٦). إذن هذا التناسق و التآلف هو الذی یجعل اللفظ سهلاً علی اللسان من جهة، و علی السمع من جهة أخری. و قد اهتمّ الدارسون العرب المحدثون بهذه الخاصیة یقول أحدهم: «لقد لاحظ الأقدمون أنّ الکلمة العربیة إذا أرید لها أن تکون فصیحة مقبولة: فإنّها تتطلب فی مخارج حروفها أن تکون متناسقةً و لا تتسامح اللغة فتتخلی عن هذا المطلب إلّا فی الحدود فی مثل حالات الزیادة و الإلصاق و نحوهما» (المصدر نفسه: ۲۵). صیاغة *القرآن الکریم* لها أبعاد متعددة تتناظر فیما بینها، و یعلو الجمع بینها فی نظام واحد متسق خال من التناقض أو الاضطراب. فالصیاغة القرآنیة سلاسل صوتیة متتابعة فی قطرات نغمیة، تتناسق وحداتها وفق منهج خاص مکونة صیغاً و ألفاظاً تحتل مواقع معینة منتقاة داخل تشکیلات من الجمل و العبارات، و هذه العناصر الصوتیة و الصرفیة من کلمات و جمل لا یستقل بعضها عن بعض فی السیاق، بل تتآلف فیما بینها، و تتآزر علاقاتها الإیقاعیة النغمیة و الإیحائیة المعنویة المتبادلة، و تنصهر جمیعها فی بوتقة واحدة، و تتفاعل فی نشاط خلاق ترکیبی و تصویری معًا (بدر، www.eajaz.org). و هذا الإیقاع فی سور الأجزاء الأخیرة تکون ذا صلة تامّة بدلالات إنذاریة، تأکیدیة، و تذکیریّة کما رأینا فی سورتی النجم و القمر. و کلّ ذلک کان بمساعدة الأصوات المجهورة و الشدیدة و المهموسة و الرخوة و الممدودة، فی المکان المناسب.

و من هنا یتجلّی البعد الفنی لإعجاز *القرآن الکریم*، حیث أنّه و إن رُصِفَت آیاته بذات الحروف و الکلمات العربیة، إلّا أنّه خرج علی العرب بهیکل جدید، و قالب خاص، و نسیج بدیع ما عهدوه، و لم تُسعفهم مواهبهم الفذّة فی محاکاته أو النسج علی منواله، أو الإتیان بمثله، فقد کان القرآن و لم یزل نسیج وحده (شاملی و نجاریان، ۲۰۰۵: ٤٤؛ عبدالتواب، ۱۹۹۵: ۷۸).

إذن رأینا بأنّه کان اختیار اللفظ المناسب للصوت المناسب حقلاً یانعاً فی *القرآن* لا للدلالة الصوتیة فحسب، بل لجملة من الدلالات الإیحائیة و اللغویة و الهامشیة، و تلک میزة *القرآن* الکریم فی تخییر الألفاظ. هذا و لا یعنی وصولنا لهذه النّتائج أنّ الألفاظ القرآنیّة و أصواتها حکراً علیها، إنّما قد ذکرنا ما استبان لنا منها و ما خفی علینا أکثر، فهذا ما وصلنا إلیه بعونه تعالی فمن اجتهد فأخطأ فله أجر و من اجتهد فأصاب فله أجران و الله من وراء القصد.

www.SID.ir

٦. النتيجة

من أبرز آفاق التصوير الفنی فی سورتی النجم و القمر: نغمة الأصوات و جرس الكلمات و هذا التصوير يكون وفق نظام دقيق و من جرّاء تلك التصاوير ترسم المعانی و الدلالات، و هی تتفاعل فی نفوس الناس حيّة.

ممّا زاد فی روعة أسلوب سورتی النجم و القمر ذلک الإنسجام التام بين الإيقاع الصوتی و الموقف الذی سيق من أجله، فيتنوّع الإيقاع بتنوّع الأجواء المصاحبة له. و هكذا دائماً يلتقی جمال التعبير بجمال التصوير، و يتّسقان مع سمو الأهداف فی ذلک الجوّ القرآنی العجيب.

تبيّن لنا حسب تلک الجداول الإحصائية لسورتی النجم و القمر أنّ غالبيّة التواتر كانت للحروف المجهورة فی سورة القمر ٧٠٧ مرّة، ثمَ للحروف المجهورة فی سورة النجم ٦٠٦ مرّة، ثمّ تواترت الأصوات اللينة فی سورة النجم ٤٦٠ مرّة و فی سورة القمر ٣٦١ مرّة. و هذا التواتر تناسب مع جوّ السورتين، الجوّ الذی يتحدّث عن موضوع الرسالة و أهوال القيامة و ما حلّ بالأمم الطاغية و كلّ ذلک جاء فی قالب أسلوب مخيف يهزّ المشاعر هزّاً.

تواترت الأصوات المجهورة فی السورتين ١٣١٣ مرة التی تشغل ٦٧/٩٢ من مجموع الأصوات المجهورة و المهموسة.فی حين تواترت الأصوات المهموسة ٦٢٠ مرة التی تشغل ٣٢/٠٨ من مجموع الأصوات المجهورة و المهموسة.و هذا كما أشرنا إليها تدلّ على تناسب تامّ بين الأصوات مع الدلالات التی توحيها فی هذا النصّ القرآنی الجميل.

تكرّرت الأصوات الشديدة فی السورتين ٤٣٩ مرّة و التی شكّلت ٤٧/٢٥ من مجموع الأصوات الشديدة و الرخوة بينما تكرّرت الأصوات الرخوة ٤٩٠ مرّة و تتشكّل ٥٢/٧٤ من مجموع الأصوات الشديدة و الرخوة. إذن هناک نوع من التناسب فی عدد تواتر الشديدة و الرخوة. و هذا التناسق يرجع إلى كون السورتين دالّة على المفاهيم التی تناسب مع كلا القسمين من الأصوات.

من خلال هذه الجداول الإحصائية نلاحظ بأنّ الأصوات المجهورة و الأصوات اللينة تناسب أكثر التناسب مع الدلالات التی توجد فی السورتين، فهناک تناسب بين الأصوات المجهورة و دلالاتها حينما يتحدّث الله تعالى عن التذكير و الإنذار للكفرة الفجار، كما أنّ هناک تناسب تامّ بين الأصوات اللينة و دلالاتها عندما انتقل الكلام إلى بيان الغاية من خلق الإنسان و التوجه لوجه الكريم بأنواع القربات و العبادات. إذن من أكثر السور *القرآن* تناسقاً بين اللفظ و المعنى هی ما رأينا فی سورتی النجم و القمر حيث هناک تناسق تامّ بين الصوت و المدلول فی أدقّ صورة و أجمل شكل.

www.SID.ir

الهامش

جدول توضیحی یبیّن عدد تواتر الأصوات فی سورتی النجم و القمر

الأصوات	النجم	القمر	المجموع
ب	٤٤	٥٩	١٠٣
ت	٤٠	٣٦	٧٦
ث	١٠	٢	١٢
ج	١٢	١٩	٣١
ح	١٨	٢٣	٤١
خ	٧	٧	١٤
د	٢٨	٤٧	٧٥
ذ	٢٣	٤٢	٦٥
ر	٤٥	١٠٨	١٥٣
ز	١٦	١١	٢٧
س	٣٠	٣٣	٦٣
ش	١٤	١٤	٢٨
ص	٣	١٣	١٦
ض	٩	٦	١٥
ط	٧	٨	١٥
ظ	٤	١	٥
ع	٣٤	٥٣	٨٧
غ	١٤	٥	١٩
ف	٣٧	٥٠	٨٧
ق	١٧	٤٨	٦٥
ک	٣٣	٥٧	٩٠
ل	١٥١	١٢٣	٢٧٤
م	١١٢	١١١	٢٢٣
ن	١١٤	١٢٢	٢٣٦
و	١١٤	٩٨	٢١٢
هاء	٦٢	٥١	١١٣
ی	٥٠	٥٢	١٠٢
همزه	١١	٢٢	٣٣
الف مد	٢٦٦	٢١١	٤٧٧

Archive of SID
www.SID.ir

المصادر

ابن منظور، محمد بن مکرم (۱۹۸۸). *لسان العرب*، تعلیق: علی شیری، بیروت: دار إحیاء التراث العربی.

أنیس، ابراهیم (۱۹۸٤). *الأصوات اللغویة*، مصر: مکتبة نهضة مصر.

بحری، نوارة (۲۰۱۰). «نظریة الإنسجام الصوتی و أثرها فی بناء الشعر»، رسالة مقدمة لنیل درجة الدکتوراه فی اللغة العربیة، الجزائر، جامعة الحاج لخضر ـ باتنة.

بدر، عبدالله أبو سعود. «الإعجاز الصوتی فی القرآن»، http://www.eajaz.org/arabic/index.php?option=com_content/

البع، محمد (۲۰۰۹). «دلالة الأصوات فی فواصل آیات جزء عمّ ـ دراسة تحلیلیة»، *مجلة الجامعة الأقصی*، المجلّد ۱۳، العدد ۲.

التحریشی، محمد (۲۰۰۰). *أدوات النص*، دمشق: اتحاد کتاب العرب.

حسن جبل، محمد حسن (۲۰۰٦). *المختصر فی أصوات اللغة العربیة* (دراسة نظریة و تطبیقیة)، القاهرة: مکتبة الآداب.

الخالدی، صلاح عبدالفتاح (بلاتا). *نظریة التصویر الفنی عند سیدقطب*، الجزائر: دار الشهاب.

داية، فایز (۱۹۹٦). *علم الدلالة العربی، النظریة و التطبیق*، دمشق: دار الفکر.

رازی، محمد بن أبی بکر (۱۹۸۳). *مختار الصحاح*، الکویت: دار الرسالة.

راغب اصفهانی، حسین بن محمد (۱٤۱۲ ق). *المفردات فی غریب القرآن*، تحقیق: صفوان عدنان داود، دمشق و بیروت: دار العلم الدار الشامی.

زوین، علی (۱۹۸٦). *منهج البحث اللغوی بین التراث و علم اللغة الحدیث*، دار شؤون الثقافة العامة.

السعران، محمود (۱۹٦٤). *علم اللغة* (مقدمة للقارىء العربی)، قاهرة: دار الفکر العربی.

سیوطی، جلال الدین (۱۹۸٦). *المزهر فی علوم اللغة و أنواعها*، ج ۲، شرح و تعلیق محمد جاد المولی بک و الآخرین، بیروت: المکتبة العصریة صیدا.

شاملی، نصرالله و ماجد نجاریان (۲۰۰۵). «الإیقاع القرآنی و تأثیره علی أوزان الشعر العربی»، *مجلة العلوم الإنسانیة الدولیة*، السنة ۱۲، عدد ٤.

شاملی، نصرالله؛ طالبی قره قشلاقی، جمال (۲۰۱۱). الإیقاع فی خطب نهج البلاغة، مجلة العلوم الإنسانیة الدولیة، السنة ۱۸، عدد ۳.

الصابونی، محمد علی (۱۳۹۹ ه). *صفوة التفاسیر*، ج ۳، بیروت: دارالفکر.

الصّغیر، محمدحسین (بلاتا). *الصوت اللغوی فی القرآن*، بیروت: دار المورّخ العربی.

طحان، ریمون (۱۹۷۲). *الألسنیة العربیة*، ج ۱، بیروت: دار الکتاب اللبانی.

عبدالتواب، صلاح الدین (۱۹۹۵). *الصورة الأدبیة فی القرآن الکریم*، القاهرة: الشرکة المصریة العالمیة للنشر، لونجمان.

عبدالجلیل، منقور (۲۰۰۱). *علم الدلالة أصوله و مباحثه فی التراث العربی*، دمشق: منشورات اتحاد الکتاب العرب.

عمران، حمدی بخیت (۲۰۰۷). *علم الدلالة بین النظریة و التطبیق*، القاهرة: الأکادیمیة الحدیثة للکتاب الجامعی.

فیاض، محمد (۱۹۹۹). *إعجاز آیات القرآن فی بیان خلق الإنسان*، بیروت: دار الشروق.

فیروزآبادی، محمد بن یعقوب (۱۹۸۳). *القاموس المحیط*، بیروت: دار الفکر.

Archive of SID

www.SID.ir

قطب، سید (۱۹۸۰). *فی ظلال القرآن*، القاهرة: دار الشروق.
المبارک، محمد (۱۹۸۱). *فقه اللغة و خصائص العربیة* (دراسة تحلیلیة مقارنة للکلمة العربیة و عرض لمنهج العربیة الأصیل فی التجدید و التولید)، لا.ب، دار الفکر للطباعة و النشر و التوزیع.
محمد داود، محمد. «الإعجاز الصوتی فی القرآن الکریم»، http://forum.stop55.com/9947.html
محمد قدور، احمد (۱۹۹۹). *مدخل إلی فقه اللغة العربیة*، بیروت: دار الفکر المعاصر.
محمد مهدی، جنان (۲۰۱۰). «الإیقاع الصوتی الإیحائی فی سیاق النص القرآنی»، *مجلة کلیة التربیة للبنات*، السنة ٤، العدد ۲۱.
مختار عمر، أحمد (۱۹۹۸). *علم الدلالة*، القاهرة: عالم الکتاب.
مزاری، شارف (۲۰۰۱). *مستویات السرد الإعجازی فی القصة القرآنیة*، دمشق: اتحاد الکتاب العرب.
مطر، عبدالعزیز (۱۹۹۸). *علم اللغة و فقه اللغة*، تحدید و توزیع، لا.ب، دار قطر بن الفجاءة.
معلوف، لویس (۱۳۸٦). *المنجد فی اللغة*، قم: دار العلم.

Archive of SID

www.SID.ir